جمهورية مصر العربية **وزارة الأوقاف**	**٦ محرم ١٤٤١ هـ** **٥ سبتمبر ٢٠١٩م**

مِنْ دُرُوسِ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ: بِنَاءُ الدَّوْلَةِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، وأَشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه ذُو الخُلُقِ العَظِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبَعْدُ :

فَإِنَّ هِجْرَةَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ حَدَثٌ تَارِيخِيٌّ عَظِيمٌ غَيَّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ البَشَرِيِّ ، وَنَحْنُ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى أَنْ نَسْتَلْهِمَ مِنْهَا كُلَّ المَعَانِي الَّتِي تُسْهِمُ فِي رُقِيِّ المُجْتَمَعِ وَبِنَاءِ حَضَارَاتِهِ، فَقَدْ كَانَتِ الهِجرَةُ فُرْقَانًا بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وَتَحَوُّلاً إِيجَابِيًّا نَحْوَ بِنَاءِ الدَّوْلَةِ المَدَنِيَّةِ عَلَى أُسُسٍ رَاسِخَةٍ مِنَ العَدَالَةِ والمُسَاوَاةِ وَحُرِّيَّةِ الاعْتِقَادِ وَحِفْظِ الكَرَامَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَتَرْسِيخًا لِفِقْهِ التَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ، وَتَأْسِيسًا لِلْعَيْشِ الإِنْسَانِيِّ المُشْتَرَكِ والتَّرَابُطِ الاجْتِمَاعِيِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الوَطَنِ الوَاحِدِ ، والمُشَارَكَةِ فِي النَّشَاطِ الاقْتِصَادِيِّ بِشَتَّى صُوَرِهِ وَمُخْتَلفِ أَلْوَانِهِ ، وَلقَدْ بَنَى النَّبِيُّ (صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ) الدَّولةَ علىَ عِدَةٍ أُسُسٍ وَمُقَومَاتٍ ، مِن أَهمِّهَا :

بِنَاءُ المَسْجِدِ : فَقَدْ كَانَ بِنَاءُ المَسجِدِ أَوَّلَ مَا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ (صَلىَ اللهُ عَليهِ وسلمَ) حِينَ قَدِمَ المَدِينةَ المُنوَّرةَ ؛ لأَنَّ عَلاقَةَ الإِنسانِ بِخَالقِهِ هِيَ صِمَامُ الأَمَانِ لِكُلِّ شَيءٍ ، فَالتَّدينُ الصَّحِيحُ أَهَمُّ عَوامِلِ بِنَاءِ الشَّخصيةِ السَّويةِ التِي تَبْنِي وَلاَ تَهْدِمُ ، وَتَعَمِّرُ وَلاَ تُخَرِّبُ ، وَبقدرِ الانحِرافِ عَن صَحِيحِ الدِّينِ ، أَوْ قَدرِ الفَهمِ الخَاطِئِ لَهُ يَكُونُ الخَللُ فِي تَكوينِ الشخصيةِ ، كَمَا أَنَّ للمَسجدِ رِسَالَتَهُ العَلميةَ وَالاجتماعيةَ التِي تُرسِي الثَّوابتَ وَالقِيمَ فِي المُجتمَعِ ، وتُسْهِمُ فِي خِدْمَتِه .

البناءُ الاقتصاديُّ: إنّ الاقتصادَ القَويَّ من أهمِ دعائمِ الدولةِ وركائزِها الرئيسةِ التِي لاَ تقومُ ولا تُبنى إلا بِها ؛ فالاقتصادُ القويُّ المستقرُّ يمكنُ الدولَ من الوفاءِ بالتزامَاتها المحليةِ والدوليةِ ، فضلًا عن أنهُ يحققُ حياةً كريمةً لمواطنيهَا ، وحينَ يضعفُ الاقتصادُ ينتشرُ الفقرُ والمرضُ ، وتضطربُ الحياةُ ، وتنشبُ الأزماتُ ، وتفسدُ الأخلاقُ ، وتكثرُ الجرائمُ ، وتكونُ الفرصةُ مهيئةً أمامَ الأعداءِ المتربصينَ بالدولِ ، العاملينَ علىَ إسقاطِها وإدخَالهَا فِي فوضَى لا تنتَهي .

لذَا فقد حرصَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) علىَ أن يكونَ مجتمعُ المدينةِ مجتمعًا ذَا قوةٍ اقتصاديةٍ تمكنهُ من الوفاءِ باحتياجاتِ أبنائِه ، والدفاعِ عن نفسهِ ، وتحقيقِ رسالةِ السلامِ والأمنِ وإعمارِ الكونِ التِي جاءَ بهَا الدينُ الإسلاميُّ الحنيفُ ، فسعَى النبيُّ (صلّى الله عليه وسلّم) إلَى إقامةِ سُوقٍ كبيرةٍ بالمدينةِ لتكونَ مصدرًا للكسبِ المشروعِ والتجارةِ ، ومقرًّا لأربابِ الصناعاتِ والحرفِ ، وَهَذَا السُّوقُ الَّذِي أَنْشَأَهُ نَبِيُّنا (صلى الله عليه وسلم) يُسَمَّى بِسُوقِ المَنَاخَةِ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، قال: (لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَجْعَلَ لِلْمَدِينَةِ سُوقًا ، أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، ثُمَّ جَاءَ سُوقَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ: "هَذَا سُوقُكُمْ ، فَلا يُضَيَّقُ") ، وَقد شَارَكَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي الأَنْشِطَةِ التّجَارِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ ، وَلَمْ يَقْبَلُوا العَيْشَ عَلَى العَوْنِ المَادِّيِّ مِنْ إِخْوَتِهِمُ الأَنْصَارِ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قال: لمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، حَيْثُ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ... قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟.

ذَلكَ أنَّ الأممَ التِي لَا تَملكُ وَلَا تُنتِجُ قُوتَها ، وغِذَاءَهَا ، وكِسَاءَهَا ، ودوَاءَها ، وسِلَاحَهَا ، لا تَمْلكُ أمْرَهَا ، ولا إرَادتَهَا ، ولا كلِمَتهَا ، ولَا عِزَّتهَا ، ولَا كَرامتها ، وقد قالوا: أحْسِنْ إلِى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَه ، واسْتغنِ عَن مَن شِئتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ ، واحْتَجْ إلِى

مَن شِئتَ تَكنْ أَسِيرَه ، وقَد علَّمنا دينُنَا الْحَنيفُ أنَّ اليدَ العُلْيَا خيرٌ مِن اليدِ السُّفلَى ، حيثُ يقولُ نَبيُنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اليدُ العُليا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اليَدُ المُعطِيةُ هي العُليَا ، والسَّائِلةُ هي السُّفلَى) ، ولَا شكَّ أنَّ ذَلكَ ينطبقُ علَى الأممِ والمؤسساتِ والأسرِ والأفرادِ معًا ، فَلا أحدَ يُنكرُ مَا للمالِ مِن أهَمِّيةٍ فِي تَسييرِ أمُورِ الحياةِ ، والنهوضِ بالأفرادِ والأممِ ، لتحقيقِ وسَائِل العيشَ الكريمَ ، والرقيِّ إلى مَدارجِ التقدمِ ، وصدَقَ أميرُ الشعراءِ أحمد شوقي حيث قال :

بِالعلمِ والمَالِ يَبْنِي الناسُ ملكَهمُ *** لم يُبنَ ملكٌ عَلى جَهلٍ وإقلالِ

وقد وضعَ النبي (صلى الله عليه وسلم) الضوابطَ المنظمةَ لهذِه التعاملاتِ ، فحثَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على السماحةِ وطيبِ النفسِ فِي البيعِ والشراءِ ، فقالَ (صلى الله عليه وسلم) : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى) ، وأمر (صلى الله عليه وسلم) بالصدق والأمانة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) ، وحرَّم (صلى الله عليه وسلم) الاحتكار ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ) ، بل كان (صلى الله عليه وسلم) يمر بنفسه ويتابع حركة البيع والشراء ، ويوجه الناس إلى ما فيه صلاح حالهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ، مَا هَذَا؟) ، قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ) ، ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) .

وثيقة المدينة: لَقَدْ بَنَى نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) دَوْلَةً قَوِيَّةً بَعْدَ الهجْرَةِ ، وَضَعَ أُسُسَهَا فِي وَثِيقَةِ المَدِينَةِ، وَلَمْ يَكْتَفِ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) بِالمُؤَاخَاةِ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ عَلَى مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ خِلافَاتٍ وَنِزَاعَاتٍ ، وَإِنَّمَا انْتَقَل إِلى مَعْنًى

إِنْسَانِيٍّ مِنْ خِلال صِيَاغَتِهِ لـ «وَثِيقَة المَدِينَةِ» ، الَّتي تُعدُّ أَعْظَمَ وَثِيقَةٍ بَشَرِيَّةٍ فِي تَارِيخِ الإِنْسَانِيَّةِ ؛ حَيْثُ أَقَرَّتِ الحقُوقَ والـوَاجِبَاتِ لِجَمِيعِ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ ، وَأَصَّلَتْ لِلتَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الوَطَنِ مِنْ جِهَةٍ ، وَبَيْنَ الإِنْسَانِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، بِمَا يَجْعَلُهَا أَعْظَمَ وَثِيقَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ فِي فِقْهِ التَّعَايُشِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، آيَةُ ذَلِكَ: العَهْدُ الَّذِي أَبْرَمَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى اللهُ عليه وسلَّم)مَعَ يَهُودِ المَدِينَةِ وَغَيْرِهِمْ ، حَيْثُ أَعْطَى اليَهُودَ كُلَّ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ فِي الأَمْنِ والسَّلام والحُرِّيَّةِ والدِّفَاعِ المُشْتَرَكِ ، وَمِنْ بَيْنِ بُنُودِهَا المُهِمَّةِ: (وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ)، وَجَاء فِيهَا كَفَالَةُ حُرِّيَّةِ الدِّينِ والأَمْنِ والدِّفَاعِ المُشْتَرَكِ ضِدَّ أَيِّ مُعْتَدٍ عَلَى المَدِينَةِ . وَهَذا يَعْنِي أَنَّ الدَّوْلَةَ المَدَنِيَّةَ فِي الإِسْلامِ تَسَعُ الجَمِيعَ مُسْلِمِينَ وَغَيْرَ مُسْلِمِينَ ، فَلَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا ، شَرِيطَةَ الالْتِزَام بِالضَّوَابِطِ المُجْتَمَعِيَّةِ الَّتِي تَحْفَظُ لِلْجَمِيعِ الحُقُوقَ والوَاجِبَاتِ ، وَفِي مُقَدَّمَتِهَا: السِّلْمُ وَعَدَمُ الاعْتِدَاءِ ، وَعَدَمُ خَرْقِ بُنُودِ العَقْدِ الاجْتِمَاعِيِّ (الدُّسْتُور) الَّذِي يُنَظِّمُ العَلاقَةَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا.

إِنَّ التَّعَايُشَ السِّلْمِيَّ بَيْنَ النَّاسِ قَاطِبَةً فَرِيضَةٌ دِينِيَّةٌ ، وَضَرُورَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ يَفْرِضُهَا الوَاقِعُ الَّذِي يَعِيشُهُ الإِنْسَانُ ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ إِلا إِذَا شَعَرَ الجَمِيعُ بِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ وَطَنٍ وَاحِدٍ ، لَهُمْ نَفْسُ الحُقُوقِ وَعَلَيْهِمْ نَفْسُ الوَاجِبَاتِ ، دُونَ تَفْرِقَةٍ عَلَى أَسَاسٍ دِينِيٍّ أَوْ عِرْقِيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا، قالَ تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} .

وَقَدْ طَبَّقَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابُهُ هذَا الأساسَ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا ، فَلَمْ يُكرِهُوا أَحَدًا علَى الدُّخولِ فِي هذَا الدِّينِ ، ولَمْ يهدِمُوا لأحدٍ كنيسةً أوْ صَوْمَعةً أَوْ أيَّ مَكَانٍ للعبادةِ ، بَلْ كانَتْ أمكنةُ العبادةِ محترمةً مُصانَةً عِنْدَ المُسْلِمينَ ، ذَلِكَ لأنَّ الإسلامَ كَفَلَ حُرِّيَّةَ الاعْتِقَادِ لِبَنِي البَشَرِ جَمِيعًا ، وَلَمْ وَلَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ تَغْيِيرَ هَذَا التَّنَوُّعِ والاخْتِلافَ ؛ لأنه يُخَالِفُ المَشِيئَةَ الإلهيَّة ، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي

الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ، فَاحْتِرَامُ المُعْتَقَداتِ والحُقُوقِ والوَاجِبَاتِ رُكْنٌ أَسَاسٌ فِي بِنَاءِ الدَّوْلَةِ، وَلَهُ أَثَرُهُ عَلَى تَرابُطِ العَلاقَاتِ بَيْنَ الأُمَمِ والمُجْتَمَعَاتِ ، فَلِكُلِّ أُمَّةٍ عَقِيدَةٌ وَمَبادِئُ تُقَدِّسُهَا وَتَلْتَزِمُ بِهَا ، وَتَعُدُّهَا أَسْمَى مِنْ غَيْرِها ، وَقَدْ نَهَانَا الإِسْلامُ عَنِ التَّعَرُّضِ بِأَذًى لأَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الأخْرَى بِمَا يُسِيءُ لَهُمْ أَوْ لِمُعْتَقَدِهِمْ ؛ لأَنَّ الأَدْيَانَ جَاءَتْ لِسَعَادَةِ الإِنْسَانِ ، قَالَ تَعَالَى{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

كَذَلِكَ رَسَّخَ الإِسلامُ فِي نُفُوسِ أَتْبَاعِهِ أَسَاسَ البِرِّ وحُسنَ الجوارِ مَعَ غيْرِ المسلمينَ، وَجَاءَتِ النُّصوصُ تُؤَكِّدُ هَذَا الأساسَ ، وتُوضِّحُ صورَهُ التَّطبيقيَّةَ فِي المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} .

وَلَقَدْ أَمَرَ الإِسْلامُ أَتْبَاعَه بِالْمَحافَظَةِ عَلَى حُسْنِ مُعَامَلَةِ غَيْرِ المُسْلِمِينَ وَمُرَاعَاةِ مَشَاعِرِهِمْ حَتَّى فِي مَوْطِنِ الحِوَارِ أو الجَدَلِ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى أَنْ تَكُونَ المُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .

بِهَذَا كَانَتْ وَثِيقَةُ المَدِينَةِ مِثَالاً يُحْتَذَى بِهِ فِي حِفْظِ الكَرَامَةِ الإِنْسَانِيَّةِ ، الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى تَكَاتُفِ اللُّحْمَةِ الوَطَنِيَّةِ لِبِنَاءِ الدَّوْلَةِ وَصُنْعِ الحَضَارَاتِ، وَتُحَقِّقُ صَالِحَ البَشَرِيَّةِ.

أقولُ قَولِي هَذا ، وَأَستغفرُ اللهَ لِي وَلَكم.

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وَأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارِكْ عَلَيْهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين.

إخوة الإسلام :

إِنَّ لِلْوَطَنِ قِيمَةً عَالِيَةً وَمَكَانَةً سَامِيَةً ، فَحُبُّه والانْتِمَاءُ إِلَيْهِ والدِّفَاعُ عَنْهُ فِطْرَةٌ جُبِلَتْ عَلَيْهَا النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ السَّلِيمَةُ ، وَهُو وَاجِبٌ يُؤَصِّلُهُ الدِّينُ الحَنِيفُ ، وَتَفْرِضُهُ الوَطَنِيَّةُ ، وَأَكَّدَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَلَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَعْظَمَ الأَمْثِلَةِ فِي حُبِّ الوَطَنِ والتَّعَلُّقِ بِهِ والانْتِمَاءِ إِلَيْهِ ، حَيْثُ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) عِنْدَ هِجْرَتِهِ مُخَاطِبًا وَطَنَهُ الأَوَّلَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ) ، وَعِنْدَمَا هَاجَرَ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَاسْتَوْطَنَ بِهَا ، دَعَا اللهَ (عز وجل) أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ وَطَنَهُ الثَّانِي ، وَأَنْ يُحَقِّقَ فِيهِ الأَمْنَ والاسْتِقْرَارَ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ).

إِنَّ العَلاقَةَ بَيْنَ الدِّينِ والدَّوْلَةِ عَلاقَةُ تَكَامُلٍ لا تَضَادٍّ ، وَحِفْظُ الأَوْطَانِ أَحَدُ المَقَاصِدِ الكُلِّيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي الحِفَاظُ عَلَيْهَا ، وَلا اقْتِصَادَ مُسْتَقِرٌّ بلا أَمْنٍ مُتَحَقِّقٍ مُسْتَمِرٍّ. والدِّفَاعُ عَنِ الوَطَنِ وَحِمَايَتُهُ والتَّضْحِيَةُ مِنْ أَجْلِهِ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ ، وَوَاجِبٌ وَطَنِيٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ يَعِيشُ عَلَى أَرْضِهِ ، وَيَسْتَظِلُّ بِسَمَائِهِ ؛ فَحُبُّ الوَطَنِ لا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ مُجَرَّدِ المَشَاعِرِ والعَوَاطِفِ فَحَسْب ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُتَرجَم إِلَى عَمَلٍ وَسُلُوكٍ صَالِحٍ نَافِعٍ لِلْفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ ؛ وَمِن ثَمَّ فَلا بُدَّ مِنَ التَّضْحِيَةِ لأَجْلِ بَقَائِهِ قَوِيًّا عَزِيزًا.

وإِنَّ الوطنيةَ الحقيقيةَ لَيستْ مُجردَ شعاراتٍ تُرْفعُ ، أو عباراتٍ تُرددُ ؛ إنَّما الوطنيةُ إيمانٌ وسلوكٌ وعطاءٌ ، الوطنيةُ نظامُ حياةٍ وإحساسٌ بنَبْضِ الوَطَنِ والتحدِّياتِ الّتِي

تُواجِهُهُ ، والتألمِ لآلامه ، والفرحِ بتحقيق آماله ، والاستعدادِ الدائمِ للتضحية من أجْلهِ، فهنيئًا لرجالٍ صَدقُوا مَا عَاهدُوا اللهَ عَليهِ ، وضَحَّوا بِأرواحِهم وأنْفُسِهمْ فِي سبيلِ اللهِ دفاعًا عَن أوطانِهم ، ورفعةً لبِلَادِهمْ .

اللهم احفظ مصر وشعبها وجيشها وشرطتها من كل سوء، ورد عنها كيد الكائدين، وحقد الحاقدين، وحسد الحاسدين .